

البداية والنهاية

والنفاق ومساوئ الأخلاق وإني إن كان أمركم ليهمني قبل أن آتي إليكم ولقد كنت أدعو إني أن يبتليكم بي ولقد سقط مني البارحة سوطي الذي أؤدبكم به فاتخذت هذا مكانه وأشار إلى سيفه ثم قال وإني لأخذن صغيركم بكبيركم وحركم بعبدكم ثم لأرصعنكم رصع الحداد الحديدية والخباز العجينة فلما سمعوا كلامه جعل الحصى يتساقط من أيديهم وقيل إنه دخل الكوفة في شهر رمضان طهرا فأتى المسجد وصعد المنبر وهو معتجر بعمامة حمراء مثلثم بطرفها ثم قال على بالناس فظنه الناس وأصحابه من الخوارج فهموا به حتى إذا اجتمع الناس قام وكشف عن وجهه اللثام وقال ... أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال أما وإني لأحمل الشء بحمله وأحذره بنعله وأحزمه بفتله وإني لأرى رؤسا قد أينعت وآن اقتطافها وإني لأنظر إلى الدماء تترقرق بين العمام والمحي قد شممت عن ساقها فشمري ثم أنشد .

... هذا أوان الشد فاشتدي زيم ... قد لفها الليل بسواق حطم ... لست براعى إبل ولا غنم ... ولا بجزار على طهر وضم ... قد لفها الليل بعصلي ... أروع خراج من الدوي ... مهاجر ليس بأعرابي

ثم قال إني يا أهل العراق ما أغمر بغماز ولا يقعقع لي بالشنان ولقد فررت عن ذكاء وجريت من الغاية القصوى وإن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نثر كنانته ثم عجم عيدانها عودا عودا فوجدني أمرها عودا وأصلبها مغمزا فوجهني إليكم فأنتم طالما رتعم في أودية الفتن وسلكتكم سبيل الغي واخترتم جدد الضلال أما وإني لألحونكم لحي العود ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل إني وإني لا أعد إلا وفيت ولا أحلق إلا فريت وفايى وهذه الجماعات وقيلوا وقالوا وإني لتستقيمن على سبيل الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده ثم قال من وجدت بعد ثلاثة من بعث المهلب يعنى الذين كانوا قد رجعوا عنه لما سمعوا بموت بشر ابن مروان كما تقدم سفكت دمه وانتهبت ماله ثم نزل فدخل منزله ولم يزد على ذلك ويقال إنه لما صعد المنبر واجتمع الناس تحته أطال السكوت حتى أن محمد بن عمير أخذ كفا من حصى وأراد أن يحصبه بها وقال قبحه إني ما أعياه وأذمه فلما نهض الحجاج وتكلم بما تكلم به جعل الحصى يتناثر من يده وهو لا يشعر به لما يرى من فصاحته وبلاغته ويقال إنه قال في خطبته هذه شأهت الوجوه إن إني ضرب .

مثلا قرية كانت آمنه مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم إني فأذاقها إني لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وأنتم أولئك فاستووا

